**خطبة: التفاؤل سمة المؤمنين.**

**الخطيب: يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

تحدثنا في الخطبة السابقة عن أن التفاؤلَ سنةٌ نبوية تجّلت في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإستشهدنا بحدث الهجرة ومواقف التفاؤل فيه ، وربما دار في خَلَدِ البعض أنه رسول الله له منّ الله الحفظ والكفاية والعصمة كما قال تعالى " أليس الله بكاف عبده " فحقيق به أن يكون متفائلا والوحي يتنزل عليه ويؤازره وينصره ،

فنقول إتماما للمعنى ، عباد الله ، أن التفاؤلَ سمةٌ للمؤمنين ، تجّلى في هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو القدوة والأسوة " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)

كما أن القنوط هو حظ الضالّين ، قال تعالى "

قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56 الحجر)

ولهذا تكرر الحث على التفاؤل في كتاب الله تعالى ترسيخا لمعناه في قلوب المؤمنين ، قال تعالى

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51 غافر)

وقال جلّ وعلا

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110 يوسف )

وقال سبحانه مبشرا المؤمنين ببشارة تتردد الى قيام الساعة

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾

( سورة النور الآية : 55 ) وقال سبحانه

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقال جلّ وعلا ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

معاشر المؤمنين

لقد رسخ النبي صلى الله عليه وسلم التفاؤل في عهده وخلال سيرته ، ولم يقتصر على ذلك حتى لا يرتبط التفاؤل بشخصه صلى الله عليه وسلم ، بل جعله بشارة ستتحقق في مستقبل هذه الأمة ، قال صلى الله عليه وسلم

- " إن الله زوى ( أي جمع و ضم ) لي الأرض ، فرأيت مشارقها و مغاربها و إن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها " . الحديث .

رواه مسلم ( 8 / 171 ) و أبو داود ( 4252 ) و الترمذي ( 2 / 27 ) و صححه .

وقال صلى الله عليه وسلم " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل و النهار ، و لا يتركُ الله بيتَ مدرٍ و لا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِ عزيزٍ أو بذل ذليل ، عِزا يعز الله به الإسلام

و ذلا يذلُ به الكفر " .

السلسلة الصحيحة - (1 / 2) ،

وقد رسم عليه الصلاة والسلام المسار التاريخي والمستقبلي للأمة في هذا الحديث العظيم ، حيث جعل خاتمتها الى خير ليجعل التفاؤل هو قدر هذه الأمة ومآلَها

روى الإمام أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال( تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ الله ُأَنْ يَرْفَعَهَا ،

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيّاً ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ، ُثمَّ سَكَتَ ).( سلسلة الاحاديث الصحيحة الالباني)

وصدق صلى الله عليه وسلم فهذا تاريخُ الاسلام يشهد على دقة وصفه صلى الله عليه وسلم للمراحل والدول التي أعقبت دولةَ الخلافة الراشدة ، الملك العاض تمثل في الأمويين والعباسيين والعثمانيين ، ثم جاء عهدُ الانقلابات والملكِ الجبري ، وهاهي الأمة تستشرف لمستقبلها الموعود بإرهاصات العودة

للخلافة الراشدة التي توحدها على منهاج النبوة ،

ويبقى السؤال الأهم عباد الله وهو :

 أين موقعك ومكانك ودورك من هذا المستقبل الموعود أيها المسلم ؟ هل أنت ممن يرنو لذلك المستقبل المشرق ويتمنّاه ويعمل لأجله ويدعو له ؟ أم رضيت أن تكون على هامش التاريخ ، لا غايةً عظيمة تُرتجى ، ولا رسالةً سامية تُبتغى ؟ هذا الذي ينبغى أن تُشغل فيه القلوب والعقول ، وتنشط له الهمم

والعزائم ، لأنه هو موضوع السؤال غدا بين يدي الله

وفقنا الله لرضاه وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ،، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

معاشر المؤمنين

لايعني التفاؤل مطلقا ألا يتألم المرء لمآسي الواقع أويشعر بالأسى والحزن ، فالله جلّ وعلا لم يتعبدنا بغير بشريتنا ، فقد حَزَن النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى مصرعَ صحابته في أحد ، وتوعد بالإنتقام من قريش ، كما إغتاظ لمقتل القراء الذين غدر بهم المشركون في بئر معونة وهم سبعون من حفظة القرآن ، وأخذ يدعو عليهم شهرا بقنوته في الصلاة ،

كما لايعني التفاؤل التواكل والتكاسل والتواني ، فالرزق والنصر والنجاح لايتّنزل دون بذل ،

والتفاؤل يقتضي ألا نستسلم للأحزان وألا نرتهن للمآسي وألا يتملكنا اليأس للواقع المؤلم وتكالب الأعداء علينا ، بل أن نجدّد الإيمان بربنا دوما ، فهو الذي بيده ملكوت السموات والأرض ، هو حسبنا ووليّنا ومولانا ، عليه توكلنا وإليه ننيب ، ثم الواجب أن نصطلح مع ربنا إستقامة على صراطه، وإلتزاما بمنهجه ،وتحكيما لكتابه ، وإتباعا لهدي نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلينا أن نأخذ بأسباب القوة والرفعة كما أمر ربنا وقال "وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل " ، ينبغي أن يتم ذلك عباد الله على المستوى الفردي والأسري ثم المجتمعي وعلى مستوى الأمة ، قال تعالى "الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172)الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) (آل عمران )